﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾ [الرّحمن: 26 - 28]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

بعدَ ذِكرِ تسييرِ السُّفنِ وما يتناوشُها من الموت؛ جاء ذِكْر الفناءِ وبقاء الرَّبِّ تعالى

لمّا أخبر تعالى أنَّه خلق السَّماواتِ والأرضَ وما بثَّ فيهما من المنافع من الأعيان والمعاني، واستوفى الأرضَ بقسمَيها بَرًّا وبحرًا، مضمِّنًا ذلك العناصرَ الأربعة التي أسَّس عليها المُرَكَّبات، وكان أعجبَ ما للمخلوق من الصَّنائع ما في البحر، وكأنَّ راكبَه في حُكم العَدم؛ دلَّ على أنَّه تعالى المُتفرِّدُ بجميع ذلك، وأنَّهُ الباقي بعد هلاك الخَلْق، فأشار إلى فناء جميع من على الأرض، لإحاطة أسبابِ الهلاك بهم حسًّا ومعنًى، كما أنَّها محيطةٌ بمَن هو في السَّفينة من فوقِه، ومن تحتِه ومن جميع جهاته، ولمّا كان الوجهُ أشرفَ ما في الوجود، وكان يُعَبَّرُ به عمّا أُريدَ من صاحب الوجه، كان التَّعبير به أعظمَ وأدلَّ على الكمال الواجب له تعالى، فيبقى وجهُ ربِّك ﷻ بعد فناء الكلِّ، بقاءً مستمرًّا إلى ما لا نهاية لهُ، لا تعتريه حاجةٌ، ولا يُلِمُّ بجنابه الأقدس نقصٌ، وذلك من لوازمِ العظَمة التي لا تُرامُ، التي هي صفةُ ذاته التي تقتضي إجلالَه عن كلِّ ما لا يليق به، وما يتَّصف به تعالى من الإحسان العامِّ[1]، فوقوعُ هذه الجملةِ عَقِبَ ما عدَّدَ من النِّعم، فيه إيماءٌ إلى أنَّ مصيرَ نِعَم الدُّنيا إلى الفناءِ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَانٍ﴾: (فني) هذا بابٌ لم يُبْنَ على قياسٍ معلوم، قالوا: فنيَ يَفْنَى فناءً، واللّه تعالى أفْناهُ، وذلك إذا انقطع، والفِناءُ: ما

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 163.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 251 - 252.

امتد مع الدّار من جوانبها، والجمعُ أَفْنِيَةٌ[1]، والفَناءُ: نَقيض البَقاءِ، وتَفانَى القومُ قَتْلًا: أفنى بَعضُهم بعضًا، وتَفانَوا، أي: أفنى بَعضُهم بَعْضًا في الحَرْبِ، وفَنِيَ يَفْنَى فناءً: هَرِمَ وأشرف على المَوتِ هَرَمًا[2]، والفَناءُ: نَفادُ الشَّيءِ[3]، وذهب بعضُهم إلى أنَّ المعنى المحوريَّ لهذه المادَّةِ فقْدُ النَّفع الأساسيِّ للشَّيء؛ لزيادة امتداده مكانًا أو زمانًا، كفِناء الدّار، ليس به مَبْنى لزيادته عمّا يُرادُ البناءُ عليه، وكالشَّيخ الفاني، ذهبت قوَّتُه؛ إذ استُهلِكَت، واستُنْفِدَتْ بطول عُمُره[4]، ومنه قولهُ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، والمرادُ بـ﴿فَانٍ﴾: هالكٌ[5]، كما في قولِه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88].

2) ﴿وَيَبْقَىٰ﴾: (بقي) أصلٌ واحدٌ، وهو الدَّوامُ[6]، يقال: بَقيَ الشَّيءُ يَبْقَى بقاءً، وهو ضِدُّ الفناءِ[7]، ويقولون: هو يُبقي الشَّيءَ ببَصَرِه؛ إذا كان ينظرُ إليه، ويرصُده[8]، والبَقاءُ ثَباتُ الشَّيءِ على حالته الأولَى، وهو يُضادُّ الفَناء، والباقي ضَرْبان: باقٍ بنَفْسِه لا إلَى مُدَّةٍ، وهو الباري تعالَى، ولا يصحُّ عليه الفَناءُ، وباقٍ بغيرِه، وهوَ ما عَداهُ، ويصحُّ عليه الفناءُ، والباقي باللّه ضَربان: باقٍ بشخصِه وجُزئِه إلَى أن يَشاءَ اللّه أن يُفْنيَه، كبقاءِ الأجرامِ السَّماويَّةِ، وباقٍ بنَوعِه وجنسِه دونَ شَخصِه وجُزئِه، كالإنسانِ والحَيَواناتِ، وكَذا في الآخِرَةِ باقٍ بشخصِه كأهْلِ الجنَّةِ، فإنَّهم يَبقونَ على التَّأبيدِ لا إلَى مُدَّةٍ، والآخَرُ بنَوْعِه وجِنْسِه، كثِمارِ أهْلِ الجنَّةِ[9].

3) ﴿ٱلْجَلَٰلِ﴾: جَلَّ الشَّيءُ: عَظُمَ، وجُلُّ الشَّيءِ: مُعْظَمُه، والجَلَلُ: الأمرُ العظيمُ[10]، وجلَّ الشَّيءُ يَجِلُّ، فهو جَليلٌ[11]، والمعنى المحوريُّ: تغطيةٌ عظيمةٌ واسعةٌ يُقصَد بها الصّونُ، ومن التَّغطية الواسعةِ دون قَيدِ الصَّوْنِ: جَلَّلَ المطرُ الأرضَ: عمَّها، وطَبَّقها، ومن ذلك

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فنى).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (فنى).
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (فني).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (فنى).
(5) مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل: 4/ 198.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بقي).
(7) الخليل بن أحمد، كتاب العين: (بقي).
(8) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (بقي).
(9) الرّاغب، مفردات القرآن: (بقي).
(10) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جلل).
(11) ابن منظور، لسان العرب، والفيوميّ، المصباح المنير: (جلل).

الاتِّساع العظيم، اسْتُعملَ التَّركيبُ في التَّعبير عن العِظَم المادّيِّ، ومِن هذا العِظَم المادّيِّ مع الشُّمولِ، جاء العِظَمُ المعنويُّ كما في الجُلَّى: الأمر العظيم، وكما في وصفه تعالى بالجَليل، وجلالُ الله: عَظَمتُه، كما في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، و﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، ومَلْحظُ الصَّون ثابتٌ بمعنى التَّنزيهِ له تعالى، فيقال: جَلَّ عن كذا، أيْ: تَنَزَّهَ[1]، والجَلالةُ: عِظَمُ القَدْرِ، والجَلالُ بغيرِ هاءٍ: التَّناهي في ذَلكَ، وخُصَّ بوصف الله تعالى، فقيل: ذو الجلالِ، والجليلُ: العظيمُ القَدْر، ووصفه تعالى بذلك إمّا لخَلْقِه الأشياءَ العظيمةَ المُستَدَلَّ بها عليه، أو لأنَّه يَجِلُّ عن الإحاطة به، أو لأنَّه يَجِلُّ عن إدراك الحواسِّ[2].

4) ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾: (كرم) أصلٌ صحيحٌ له بابان، أحدهما: شرفٌ في الشَّيء في نفسِه، أو شرفٌ في خُلُقٍ من الأخلاقِ، يقال: رجلٌ كريمٌ، وفرسٌ كريمٌ، ونباتٌ كريمٌ، وأكْرَمَ الرَّجلُ؛ إذا أتى بأولادٍ كرام، واستكرمَ: اتَّخذ عِلْقًا كريمًا، وكَرُمَ السَّحابُ: أتى بالغيثِ، وأرضٌ مَكْرَمَةٌ للنَّباتِ؛ إذا كانت جيدةَ النَّباتِ، والكرم في الخُلُق: الصَّفح عن ذنب المُذنب، والكريمُ: الصَّفوحُ، والله تعالى هو الكريمُ الصَّفوحُ عن ذنوب عباده المؤمنين[3]، وكذلك فالكريم مِن صفات الله وأسمائِه: هو الكثيرُ الخيرِ، الجَواد المُعطي الذي لا يَنفَد عطاؤه، وهو الكريم المطلَقُ، والكريم: الجامعُ لأنواعِ الخيرِ والشَّرفِ والفضائل، والكريمُ اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحمدُ، فالله ﷻ كريمٌ حميدُ الفعال، وربُّ العرش الكريم: العظيم، والكَرَم نقيضُ اللُّؤم، يكون في الرَّجلِ بنفسه، وإن لم يكن له آباء، والكَرْمُ: العِنَبُ؛ لأنَّه مجتَمِعُ الشُّعُبِ منظومُ الحَبِّ[4]، والمعنى المِحوريُّ: رِقَّةُ الشَّيءِ المتجمِّع ونقاؤه أو صفاؤه، مع قَبول النَّفس له[5]، والإكرامُ: مصدرُ أكرمَ يُكرِمُ، والمعنى في قولِه: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾: أنَّ الله تعالى مستحِقٌّ أن يُجَلَّ، ويُكرَمَ، ولا يُجْحَدَ، ولا يُكْفَرَ به، وقد يُحْتَمَلُ أن يكونَ المعنى: أنَّه يُكْرِمُ أهلَ وِلايتِه، ويرفعُ درجاتهم، وقد يحتمل أن يكون أحدَ الأمرينِ، وهو الجلالُ

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (جلل).
(2) الرّاغب، مفردات القرآن، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (جلل).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والخليل بن أحمد، كتاب العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (كرم).
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (كرم).
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (كرم).

مضافًا إلى اللّه تعالى بمعنى الصِّفةِ له، والآخر: مضافًا إلى العبد بمعنى الفعلِ منه[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الفناءُ حتمٌ لازمٌ على كلِّ الخَلْقِ ويبقى الحيُّ القيومُ

بيَّن الحقُّ تعالى في هذه الآياتِ الكريمات، أنَّ جميعَ من على الأرض من النّاسِ والحيواناتِ، وكذلك أهلُ السَّماوات إلّا من شاء اللّه، سيَفْنَون ويموتون، وتنتهي حياتُهم جميعًا، ولا يبقى إلّا ذات اللّه سبحانه ذي العظَمة والكبرياء، والإفضالِ والإكرام الذي يُكْرِمُ به المُخلِصين من عباده، وصفةُ الجلال والإكرام من عظيم صفات اللّه، وأعظمُ النِّعمةِ مَجيءُ وقتِ الجزاء عَقِبَ ذلك، قال رسول اللّه ﷺ فيما رواه التِّرمذيُّ عن أنس رضي الله عنه: «ألِظّوا بيا ذا الجلالِ والإكرام»[2]، أي: الزَموا ذلك في الدُّعاء، وسَمِعَ ﷺ رَجُلًا، وهو يَقولُ: يا ذا الجلالِ والإكرام، فقالَ: «قد استُجيبَ لَكَ، فسَلْ»[3]، ونظير الآية: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: 88]، وقد نعت تعالى وجهَهُ الكريمَ في هذه الآية الكريمة بأنَّه ذو الجلالِ والإكرام، أي: هو أهلٌ أن يُجَلَّ، فلا يُعْصَى، وأن يُطاعَ، فلا يُخالَفَ، كقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: 28]، وكقوله إخبارًا عن المُتصدِّقين: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: 9]، وذو الجلال والإكرام هو ذو العَظَمة والكِبرياء، ثم كرَّرَ تعالى التَّقريرَ والتَّوبيخَ، فكأنَّهُ قال: فبأي نِعَم اللّهِ هذه تُكَذِّبان أيُّها الإنس والجنُّ، فالنّاس والمخلوقاتُ جميعًا يتساوَوْن كلُّهم في الوفاة، ثمَّ يصيرونَ إلى الدّارِ الآخرة، فيحكمُ فيهم ذو الجلال والإكرام بحُكْمِه العَدلِ؛ إذِ الفناءُ

(1) الخطابيّ، شأن الدّعاء، ص: 92، وابن الجوزيّ، زاد المسير: 4/ 210.
(2) أخرجه التّرمذيّ في سننه، برقم: (3867).
(3) أخرجه التّرمذيّ في سننه، برقم: (3870).

طريقُ البقاء والحياةِ الأبديَّة، فكانَ في الفناءِ نعمةُ التَّساوي في الموت، ونعمةُ تعاقُب الأجيالِ، ونعمةُ العدلِ المطلق، ونعمةُ الانتقالِ من الدّار الفانيةِ إلى الدّارِ الخالدةِ الباقية، دارِ الجزاء والثّواب، ذاتِ النَّعيم المادّيِّ والرّوحيِّ الشّامل، فكيف يكون منكم التَّكذيبُ بهذه النِّعَم العظيمة؟[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الاستئنافِ في ﴿كُلُّ مَنْ﴾:

الـفـنـاء حـتـمٌ لازمٌ، سواء أكانَ استئنافًا ابتدائيًّا أم امـتـدادًا لـلـحـديـث عـنِ النِّعم

فصل النَّظمُ الحكيمُ قولَ اللّهِ تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، عن النِّعمةِ السّابقةِ عليها، وهي قولُه: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾؛ وذلك لأنَّ السّورةَ الكريمةَ مِن دَيْدَنها الفصلُ بين النِّعَم؛ لأنَّ كلَّ نعمةٍ وحدَها تكفي للدَّلالةِ على قدرتِه تعالى، وتكفي لبيانِ عظيمِ الامتنانِ منه تعالى، فالجُمْلَةُ استِئنافٌ ابتِدائيٌّ[2]، وذهب بعضُهم إلى أنَّه ليس في الفناء نعمةٌ سوى الاعتبارِ، وذهبَ بعضهم إلى أنَّ في الفناءِ نِعمًا كثيرةً، فهو طريق البقاء والحياةِ الأبديَّة، فكانَ في الفناءِ نعمةُ التَّساوي في الموت، ونعمةُ تعاقب الأجيالِ، ونعمةُ العدلِ المطلق، ونعمةُ الانتقالِ من الدّار الفانيةِ إلى الدّارِ الخالدةِ الباقية، دارِ الجزاء والثَّواب، ذات النَّعيم المادّيِّ والرّوحيِّ الشّامل[3]، وكذلك فإنَّ استئنافَ الآيةِ هاهُنا تمهيدٌ للمقطع الثّاني من مقاطع السّورة، الذي سيبدأ في قولِه تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾، فذكَّرت الآيةُ هنا - بعد تعديد النِّعم السّابقةِ - بأنَّ مصيرَ العالَمِ كلِّه إلى فناءٍ وزوالٍ، وذلك في سُرعة واضحةٍ، وإشارةٍ لامحةٍ؛ لتعِظَ الخَلْقَ بقدرته تعالى على إفنائهم، فيصبحوا أثرًا

(1) وهبة الزّحيليّ، التّفسير المنير: 27/ 209 - 210.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 253.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 253، ووهبة الزّحيليّ، التّفسير المنير: 27/ 210.

بعد عينٍ، في طيِّ التَّواري عن الوجودِ، ويتجلّى وجهُ الكريمِ الباقي بلا زوالٍ ولا انتهاءٍ، منفردًا بالبقاء والجلال والإكرام، فهي تمهِّدُ لإعلانِ التَّحدّي؛ لكلِّ مَن تُنازِعُه نفسُه إلى الخروج من ملكوت اللّهِ العظيم وسلطانه القديم، فليس لأحدٍ قدرةٌ على منازعة الجبارِ تعالى، بل كلُّهم مأسورون لعظمة قدرته، وإنَّ أيَّ محاولَةٍ للخروج عن ناموس الكونِ ومقاديره الإلَهيَّةِ، محكومٌ عليها بالفشل الذَّريع، ومحفوفَةٌ بالوعيد الشَّديدِ بإرسالِ الشّواظِ والنُّحاسِ، فلا يتمكَّنُ أحدٌ منهم منَ الانتصارِ على إرادَةِ اللّهِ وبالغِ قُدرَتِه وعظَمتِه.

سِرُّ التَّعبيرِ بلفظ ﴿كُلُّ﴾:

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ استعملَ النَّظمُ الجليلُ لفظَ ﴿كُلُّ﴾، وهو أقوى ألفاظ العموم[1]، لدَلالته على الشُّمولِ والاستغراقِ، وهو يُستعمَلُ في الدَّلالةِ على قضيَّةٍ كُلّيَّةٍ موجَبةٍ، فلا يُستثنَى منها أحدٌ، فهي تشمل كلَّ جنسٍ، وكلَّ فردٍ، وقد تكرَّرَ لفظُ ﴿كُلُّ﴾ في التَّعبير عن قضيَّة الموتِ في القرآن الكريم، كما في قولِه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ الذي تكرَّر ثلاثَ مرّاتٍ، في [آل عمران: 185]، و[الأنبياء: 35]، و[العنكبوت: 57]، وقولِه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٨﴾ [القصص: 88]؛ وذلك لتأكيدِ حتميَّةِ الموتِ والفناءِ على كلِّ شيءٍ مخلوقٍ في الكونِ بأسره.

في مقام الفناء يكونُ الأنسبُ التَّعبيرَ بأقوى ألفاظِ العمومِ والشُّمولِ والاستغراقِ

سرُّ التَّعبيرِ بالجملة الاسميَّةِ دونَ الفعليَّة:

آثر النَّظمُ الحكيمُ التَّعبيرَ بالجملةِ الاسميَّة في قولِه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾؛ للدَّلالةِ على الثَّباتِ، فحُكمُ الموتِ والفناء من الأحكام الثّابتة القارَّةِ الحتميَّة التي لا تتغيَّرُ، فقد قضى تعالى على كلِّ مخلوقٍ بالفناءِ مهما تطاولَ أمَدُه، ومهما استَغرَق في النِّعَم والآلاء؛ لذا كان التَّعبير بالجملة الاسميَّة أنسبَ للسّياقِ.

ثباتُ قضيَّةِ الموتِ مهما طالَ الأمدُ

(1) الزّركشيّ، البحر المحيط: 4/ 84.

دلالةُ التَّعبير بالاسم الموصولِ مضافًا للفظِ ﴿كُلُّ﴾:

فناء العاقل يدلُّ على فناء غيرِ العاقل بدليل الأَوْلى

آثرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بالاسم الموصولِ ﴿مَنْ﴾ الدّالِّ على العاقلِ، في قولِه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، وعدلَ عن لفظِ (ما) الذي يدلُّ على غير العاقلِ؛ وذلك للدَّلالة على التَّصريحِ؛ تهويلًا بفناء العاقل على فناء غير العاقل بطريق الأَوْلى[1]، وكذلك فقد آثرَ التَّعبيرَ بضمير العاقلِ؛ لأنَّ الخطابَ في السّورة الكريمةِ للثَّقلين من الإنس والجنِّ، وهم المستفيدونَ من النِّعَم السّابقةِ التي سخَّرَها اللّهُ لهم، وهم كذلك المنتفِعون بالتَّخويف، فخصَّهم تعالى بالذِّكر[2]، وفي إسنادِ ﴿مَنْ﴾ إلى ﴿كُلُّ﴾ زيادةٌ في المبالغةِ والتَّوكيدِ.

معنى حرف الجَرِّ (على) ودلالتُه، وبيانُ مَرجِعِ الضَّمير:

مهما تمكَّنَ المخلوقُ في الأرض؛ فمصيرُه الفناءُ لا محالةَ

دلَّ التَّعبيرُ بحرفِ الجرِّ (على) في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ على الاستعلاءِ، سواء أكان استعلاءً حقيقيًّا أم مجازيًّا، فأشارَ التَّعبيرُ بها إلى فناء كلِّ من تَمكَّن في الأرض، واستقرَّ فيها تمكُّنًا واستقرارًا حقيقيًّا أو مجازيًّا، مهما بلغَ تنعُّمُه بهذه النِّعَم والآلاء والسّابقةِ، وسرُّ مَجيئها أنَّ المخلوقَ كثيرًا ما يغفلُ عن حتميَّةِ الفناء؛ إذا تمكَّن، واستقرَّ.

سرُّ إيثارِ التَّعبير بالمضمر دون المظهر في ﴿عَلَيْهَا﴾:

وضوحُ المُرادِ بالضَّميرِ يُغني عن التَّصريحِ بالمُرادِ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ آثرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بالمُضمر؛ إشارةً إلى وضوح المرادِ بالمضمر، وهو الأرضُ، وذلك بقرينة المقام مثل قولِه: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [ص: 32]، أي: الشَّمسُ، ومثلُه في القرآن كثيرٌ وفي كلامِ البُلغاء[3]، فيقال: هو أكرمُ مَن عليها، يَعنونَ الأرضَ، وإن لم يَجْرِ لها ذِكرٌ، فلا يَسبقُ إلى الوهم

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 163.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 355.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 252.

أنَّ المرادَ غيرُ الأرضِ، وهو كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: 45]، فهي معروفةٌ عند المخاطَبين، فلا داعيَ لذِكرها، ويحتملُ أنْ يكونَ الضَّمير في ﴿عَلَيْهَا﴾ عائدًا إلى الأرض، وقد جرى ذِكرها في أوَّل السّورة في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾، وإن كان بَعُدَ لفظُها[1]، وقال ابن عبّاس: لمّا نزلت هذه الآيةُ؛ قالت الملائكة: هلَكَ أهلُ الأرضِ، فنزلت: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88]، فأيقنتِ الملائكةُ بالهلاك[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿فَانٍ﴾ دونَ (مَيِّتٍ):

التَّعبيرُ بالفناءِ ألطفُ مِنَ الموتِ، ولذا فهو أنسبُ لسياقِ النِّعَمِ

في قولِ اللهِ تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، عبَّرَ النَّظم الجليلُ بمادَّةِ الفناءِ دونَ مادَّةِ الموتِ، فعدلَ عن: (كُلٌّ من عليها مَيِّتٌ)؛ وذلك لتحقيق المقابلة بين الفناء والبقاء في الآية التّالية، ولأنَّ لفظَ الفناءِ أخفُّ وقعًا من لفظِ الموتِ، ولذا فهو أنسَبُ للسّورة الكريمة التي تتحدَّث عن النِّعم والآلاء، فكأنَّ الحقَّ تعالى لم يُرِد أن ينالَ الحُزنُ من قلوبِ المؤمنين الموحِّدين، فعبَّر بمادَّةِ الفناءِ، وهي أخفُّ وطأةً من الموتِ؛ ذلك أنَّ كلَّ موجودٍ على الأرض يفنى، وتزولُ خُصوصيّاتُه وامتيازاتُه وجميعُ مشخِّصاتِه الأرضيَّة المادّيَّة، إلّا ما يكون وجهًا للرَّبِّ.

فائدةُ ذِكرِ الفناءِ في السّورة الكريمة:

في ذِكرِ الفناءِ وجوهٌ من الحَثِّ على العبادةِ والأمر بالصَّبر

أفادَ ذِكرُ الفناء في السّورة - عَقِبَ التَّذكير بالنِّعم والآلاءِ - الحثَّ على العبادة وصرفِ الزَّمان اليسير إلى الطّاعة، وأفاد كذلك المنعَ من الوثوق بما يكون للمَرء، فلا يقول - إذا كان في نعمةٍ -: إنَّها لن تذهب، فيترك الرُّجوع إلى الله معتمدًا على مالِه ومُلكِه، وفيها كذلك الأمرُ بالصَّبر إن كان في ضُرٍّ، فلا يكفر بالله معتمدًا على أنَّ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 62.
(2) الزّجّاج، معاني القرآن: 5/ 99، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 164.

الأمر ذاهبٌ والضُّرَّ زائلٌ، ومن فوائد ذِكر الفناء تركُ اتِّخاذ غيرِ اللهِ تعالى معبودًا، والزَّجرُ على الاغترار بالقُرب من المُلوك وتركِ التَّقرُّب إلى الله تعالى؛ فإنَّ أمرَهم إلى الزَّوال قريب، وفيها الحثُّ على التَّوحيد، وتركِ الشِّرك الظّاهر والخفيِّ جميعًا؛ لأنَّ الفانيَ لا يصلح لأن يُعْبَد[1]، وكذلك فإنَّ في التَّعبير بالفناءِ تذكيرًا بوجه النِّعمة في فناء الخَلْق بالتَّسوية بينهم في الموت، ومع الموت تَستوي الأقدامُ، وقيل: وجهُ النِّعمة أنَّ الموت سببُ النَّقل إلى دار الجزاء والثَّواب[2].

الغرضُ من تنكيرِ الخبرِ ﴿فَانٍ﴾:

التَّنكير لإفادة العموم، وللتَّهويل والتَّخويف

جاءتْ كلمةُ ﴿فَانٍ﴾ نكرةً؛ لإفادةِ العمومِ والشُّمولِ، وفي تنكيرها كذلك من التَّهويل والتَّخويف ما يَردَعُ الكافرينِ المُكَذِّبينَ بالآلاءِ والنِّعم، ويحثُّهم على معاودةِ التَّفكُّر والتَّدبُّر في هذه النِّعم الجزيلة والآلاء العظيمة.

معنى الواوِ ودلالتُها في ﴿وَيَبْقَىٰ﴾:

الفناء الحتميُّ للمخلوقين، والبقاءُ السَّرمديُّ لله الواحدِ القهّار

وصل النَّظم الحكيم بين الجُملتَين بالواو؛ للتَّوسُّط بين الكَمالَين، كمالِ الاتِّصال وكمالِ الانقطاع، فقد اتَّفقت الجُملتان في الخبريَّة لفظًا ومعنًى في قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، ووُجِدَت المناسبةُ المُسوِّغةُ للعطف، وهو التَّضادُّ بين المعنَيين، وهو الفناء الحتميُّ للمخلوقين، والبقاءُ السَّرمديُّ لله الواحدِ القهّار، ولم يمنع من العطف مانعٌ، ولذا وصل بينهما، فأسهم العطفُ في إبراز قُدرة الله ﷻ في أسمى معانيها، فلا يقدر على جمعِ تلك الأضداد إلّا الخالقُ القادر المهيمن، ذو السُّلطانِ والمُلْك[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ:

استمرارُ البقاءِ الأزليِّ السَّرمديِّ للهِ وتجدُّدُه

في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ آثَرَ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 355.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 164.
(3) بسيوني فيود، علم المعاني، ص: 475.

النَّظمُ الحكيم التَّعبيرَ بالجملةِ الفعليَّةِ في ﴿وَيَبْقَىٰ﴾، وعدلَ عن التَّعبيرِ بالجملة الاسميَّة، كما في الجملة السّابقة: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، فلم يقل: (والباقي هو اللّهُ ذو الجلال والإكرام)؛ وذلك لأنَّ الجملةَ الفعليَّةَ تُفيدُ الاستمرارَ والتَّجَدُّدَ، في مقابل الجملةِ الاسميَّة التي تُفيدُ الثَّباتَ والحتم، ففناءُ المخلوقاتِ حتمٌ لازمٌ، وهو أمرٌ ثابتٌ قارٌّ لا مفرَّ منه، وبقاءُ اللّهِ تعالى، وإن كان هو أيضًا لازمًا أبدًا، فإنَّ التَّعبير بالجملة الفعليَّةِ يفيدُ أنَّ بقاءه تعالى يتَّسم بالاستمرارِ والتَّجدُّدِ، على نقيضِ الفناء في حقِّ المخلوقينَ.

دلالةُ التَّعبير بالإثبات دون النَّفي:

التَّعبير بالإثبات أرسخُ في الأذهانِ وأقربُ للعقولِ

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ عن بقاء اللّهِ تعالى بأسلوب الإثباتِ، فقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، وعدلَ عن النَّفي، فلم يقل: (ولا يبقى إلّا وجهُ ربِّك)؛ وذلك لما في استمرارِ وجوده تعالى من بداهةٍ تقتضي الإثباتَ دونَ النَّفي، فالتَّعبير على هذا النَّحو أرسخُ في الأذهانِ وأقربُ للعقولِ، ولأنَّه إذا ثبت عند المؤمنين الموحِّدين وجودُه - وهو ثابت على كلِّ حال - فمِن مقتضيات هذا الوجود أن يثبت أبدًا، فلا مجالَ البتَّةَ لعقلٍ آمنَ بوجوده إلى نفي هذا الوجود في لحظة من لحظات الدَّهرِ الذي هو خَلْقٌ من خَلْقه، فهو سبحانه واجبُ الوجود، لا أوَّلَ له ولا بدايةَ، فلم يسبق وجودَه عدمٌ، ولم يَخْلُ لحظةً عن الوجود، فهو سبحانه الإلهُ الواحدُ المعبود بحقٍّ، لا يجوز عليه العدمُ أزلًا، ولا يجوز عليه العدمُ أبدًا.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالطِّباقِ بين ﴿وَيَبْقَىٰ﴾ و﴿فَانٍ﴾:

أرشدَ الطِّباقُ إلى سرمديَّة اللهِ تباركت آلاؤه

جاءَ الطِّباقُ بين اسم الفاعلِ ﴿فَانٍ﴾، والفعلِ ﴿وَيَبْقَىٰ﴾، مُبرزًا لقُدرةِ اللّهِ تعالى وعظَمتِه وسطوته، فقد أسهم الطِّباق في بيان أنَّهُ تعالى قد قضى بالفناء على كلِّ موجودٍ على ظهر البسيطة، في حين

تفرَّد هو بالعظَمة والجلال والبقاء السَّرمديِّ، فأوضح الطِّباقُ هذه الحقيقةَ الإلهيَّة البالغة، المُرشدةَ إلى ضرورة إفراده ﷻ بالعبادة والتَّعظيم والإجلال والإكرام.

بلاغةُ الافتنانِ في الآيتَين:

الـجـمـع بين الفناء والبقاء، والتَّعزيَة والفخر

في قولِ اللهِ تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ فنُّ الافتنانِ، وهو التَّصرُّفُ في الكلامِ بالإتيانِ بفَنَّيْنِ متفاوتَين من فنون الكلام[1]، فقابلَ بين الفناء والبقاء من ناحيةٍ، وجمعَ بين التَّعزيةِ والفخرِ من ناحية أخرى؛ إذ عَزَّى جميعَ المخلوقاتِ، وتمدَّحَ بالانفرادِ بالبقاء بعد فناءِ الموجودات، مع وصف ذاته بعد الانفراد بالجلالِ والإكرام[2].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالمجازِ المُرسلِ في ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾:

ذِكرُ الوجهِ مجازٌ عن ذاتِه العليَّة تعالى

عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ عن ذات اللهِ تعالى بالوجهِ، فالمقصود بـ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ذاتُه، فذِكْرُ الوجهِ هنا جارٍ على عُرف كلامِ العرب، وقد أُضيفَ إلى اسمه تعالى لفظُ الوجهِ بمعانٍ مختلفة، منها ما هنا، ومنها قولُه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 115]، وقَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: 9]، وقد علمَ السّامعون أنَّ الله تعالى يستحيل أن يكون له وجهٌ بالمعنى الحقيقيِّ، وهو الجزء الذي في الرَّأس، واصطلح علماءُ العقائد على تسمية مثلِ هذا بالمتشابه، وكان السَّلف يُحْجِمون عن الخوض في ذلك مع اليقين باستحالة ظاهرِه على الله تعالى، ثمَّ تناولَهُ علماءُ التّابعين ومَن بعدَهم بالتَّأويل تدريجيًّا، إلى أنِ اتَّضح وجهُ التَّأويل بالجَرْي على قواعد علم المعاني، فزالَ الخفاء، واندفع الجَفاء، وكلا الفريقين خيرَةٌ

(1) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها: 1/ 264.

(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 310.

الحنفاء[1]، فالإضافةُ بيانيَّةٌ، وحقيقةُ الوجهِ في الشّاهد الجارحةُ، واستعمالُه في الذّات مجازٌ مرسلٌ، كاستعمالِ الأيدي في الأنفس، وهو مجازٌ شائع، وقيل: أصلُه الجِهة، واستعمالُه في الذّات من باب الكِناية، وتفسيرُه بالذّاتِ هنا مبنيٌّ على مذهب الخَلَف، وتعيينُ المُراد في مثل ذلك دونَ مذهب السَّلفِ.

وقيل: الوجه بمعنى القصدِ، ويراد به المقصودُ، أي: ويبقى ما يُرادُ به وجهُ اللّهِ، ويبقى ما يُقْصَدُ به ربُّك ﷻ من الأعمال، وأقربُ منه ما قيل: وجهه تعالى الجِهةُ التي أمرنا ﷻ بالتَّوجُّه إليها، والتَّقرُّب بها إليه سبحانه، ومرجِعُ ذلك العمل الصّالح أيضًا، واللّهُ جلَّ شأنُه يُبقيه للعبد إلى أن يجازيَه عليه[2].

تحديد مرجع الضَّمير في ﴿رَبِّكَ﴾ ودلالتُهُ:

الظّاهر أنَّ الخطاب في قوله: ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾ للرَّسولِ ﷺ ، وفيه تشريفٌ عظيم له، والمقصودُ: تبليغُه إلى الذين يُتلَى عليهم القرآنُ؛ ليَذَّكَّروا، ويعتبِروا، وقيل: الخِطاب لكلِّ سامع، ليَعُمَّ كلَّ مخاطَبٍ[3].

الخِطابُ إمّا تعظيم لرسول اللهِ ﷺ ، أو لكلِّ سامعٍ للعموم

سِرُّ التَّعبيرِ بالرُّبوبيَّةِ مُضافًا لكافِ الخِطابِ:

في قولِه تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ عبَّر النَّظمُ الجليلُ بلفظ الرُّبوبيَّةِ مُضافًا إلى ضمير الخطاب؛ إشارةً إلى أنَّه سبحانه المُربّي لرسول اللّهِ خاصَّةً، بالرِّسالة والتَّرقية بهذا الوحي، إلى ما لا يُحَدُّ من المعارف، أو هو سبحانه المُتولّي لتربية المخاطَبينَ عامَّةً، وكذلك فإنَّ التَّعبير بالرَّبِّ إشارةٌ إلى أنَّ البلوغ إلى مرتبة الفناء عن غيره تعالى، إنَّما يتحصَّل بتربية اللّه ﷻ وبتأييده، فإنَّ هذا المقامَ منتهى درجةِ العارفين باللّه وأوليائِه المُقَرَّبين[4].

في التَّعبيرِ بالرُّبوبيَّةِ بيانٌ لعنايته سبحانه

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 253.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 107.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 62، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 253.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 166.

في الإضافة من اللُّطف ما يناسِبُ مقامَ تعديد النِّعم

وكذلك فقد عدلَ النَّظمُ عن عدمِ الإضافة مطلقًا، فلم يقُلْ: (ويبقى وجهُ الرَّبِّ)؛ وذلك لأنَّ في إضافةِ الضَّمير إلى الرَّبِّ تعالى إشارةً إلى اللُّطف، والموضعُ موضعُ بيانِ اللُّطفِ وتعديد النِّعم، فلو قال بلفظ الرَّبِّ لم يدلَّ عليه الخطاب، وفي لفظِ الرَّبِّ عادةٌ جاريةٌ، وهي أنَّه لا يُترَك استعمالُه مع الإضافة، فالعبدُ يقولُ: (رَبَّنا اغفِرْ لَنا)، و(رَبِّ اغفِرْ لي)، واللّه تعالى يَقولُ: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ﴾ [الشّعراء: 26]، و﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: 2]، وعندما ترك الإضافة؛ ذَكَرَهُ مع صفةٍ أُخرى من أوصافِ اللَّفظِ، فقالَ تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥﴾ [سبأ: 15]، وقالَ أيضًا: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس: 58][1].

سرُّ التَّعبير بالرُّبوبيَّةِ دونَ الأُلوهيَّةِ:

المقصودُ هاهُنا التَّربيةُ بالنِّعم

آثر البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بإضافةِ الوجهِ إلى الرُّبوبيَّةِ دون الأُلوهيَّةِ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾، رغمَ أنَّهُ في مواضعَ أُخرى عبَّرَ بإضافةِ الوجه إلى الأُلوهيَّة كما في قولِه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 115]، وقال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ [الرّوم: 38]؛ وذلك لأنَّ المُراد في الموضعَينِ المَذكورَين هو العبادةُ، فأمّا قولُه: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 115] فظاهرٌ؛ لأنَّ المذكورَ هناكَ الصَّلاةُ، وأمّا قَوْلُهُ: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: 38]؛ فالمذكورُ هو الزَّكاةُ، قال تعالى مِن قَبلُ: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٣٨﴾ [الرّوم: 38]، ولفظُ (اللّه) يدلُّ على العبادةِ؛ لأنَّ اللّه هو المعبودُ، والمذكورُ في هذا الموضعِ النِّعَمُ التي بها تربيةُ الإنسانِ، فقال: ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾[2].

دلالةُ إفرادِ الخطاب دونَ التَّثنية:

آثرَ البيانُ إفرادَ الضَّمير في قولِه: ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾ دون تثنيته، كما هو ديدَن السّورةِ عمومًا؛ وذلك لأنَّ المعنى: أيُّها السّامع لا تلتفت

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 356.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 356.

إلى أحدٍ غير الله تعالى، فإنَّ كلَّ مَن عَداه فانٍ، والمخاطَبُ كثيرًا ما يخرجُ عن الإرادة في الكلام، ولو قال: (وجهُ رَبِّكُما)؛ لكانَ كلُّ واحدٍ يُخرج نفسَه ورفيقَه المخاطَب من الفناءِ[1].

في الإفرادِ دعوةٌ ليتدبَّرَ كلُّ إنسانٍ حالَه دونَ أحوالِ غيرِه

سِرُّ الوَصفِ بـ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ ودلالة العطفِ:

وصَفَ البيانُ القرآنيُّ قولَه: ﴿وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ بأنَّهُ: ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾، والسِّرُّ في ذلك أنَّه تعالى لمّا ذَكرَ أنَّه قد قضى على كلِّ مخلوقاتِه بالفناء؛ أتبعَ ذلك بما يُحَقِّق العدلَ المُطلقَ التّامَّ الذي هو صِفَتُه، فهو تعالى يبعثهم مرَّةً أخرى، فيصيرون إلى الدّار الآخِرة، فيَحْكُم فيهم ذو الجلالِ والإكرام بحُكمه العَدل، فالمُراد هاهنا ملزومُ معناها؛ لأنَّها كناية عن مجيء وقتِ الجزاء، وهو من أجلِّ النِّعم، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ۝١٦﴾ [المؤمنون: 15 - 16]؛ ولذلك خصَّ الوَصْفَين بالذِّكر، يعني: الجلالَ والإكرامَ؛ لأنَّهما يَدُلّان على الإثابة والعقاب[2].

الجلالُ والإكرامُ كنايةٌ عن حُكمِه العدلِ بالثَّواب والعقاب

وذهب آخرون إلى أنَّ الوصف بـ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ تنبيهٌ على التَّنزيه عمّا قد يوهِمُه ذِكْرُ الوجهِ مع المحسوسات، فيقيس بعضُهم ذاتَه العَليَّة بالشّاهد الذي كلُّه نقصٌ وحاجةٌ، وهو تعالى لا تُدْرِكه الأبصارُ، ولا تُحيط به الأوهام، ولا تعتريه حاجةٌ، ولا يُلِمُّ بجنابه الأقدسِ نقصٌ، فأثبت له الوصفُ الجليلُ العظَمةَ التي لا تُرام، وهو صفة ذاته التي تقتضي إجلالَه عن كلِّ ما لا يليق به، والإحسان العام، وهو صفةُ فعله[3]، وأكَّدوا ذلك بأنَّهُ لمّا كان الوجهُ هنا بمعنى الذّات؛ وُصِف بأنَّهُ ذو العظَمة والإنعام على عباده، وإلّا فإنَّ الوجه الحقيقيَّ لا يضاف للإكرام في عُرف اللُّغة، وإنَّما يُضاف للإكرامِ اليدُ، أي: فهو لا يَفْقِده عبيدُه، وقد

الوصفُ بالجلال والإكرام نفيٌ للتَّشبيه والتَّجسيم عن ذاته العليَّةِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 356.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 15/ 162.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 165.

دخلت في الجلال جميعُ الصِّفات الرّاجعة إلى التَّنزيه عن النَّقص، وفي الإكرام جميعُ صفاتِ الكمال الوجوديَّة وصفاتِ الجمال كالإحسان[1].

بَيانُ المرادِ بـ (الآلاءِ) في هذا الموضعِ:

بعد أنْ ذكرَ تعالى قضاءَه بالفناء على كلِّ خَلْقه، وبقاءَه وحدَه فردًا صمدًا أزلًا سرمدًا، فلا يعتريه نقصٌ بعد فناءِ الخَلْق؛ عقَّبَ بذكر قولِه: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، فذهب بعضُهم: إلى أنَّه ليس في الفناء نعمةٌ سوى الاعتبارِ[2].

المساواةُ في مصير الفناء، والبعث للثَّواب والعقاب، من أعظم النِّعمِ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفناء والموت والهلاك:

الفَناءُ: نَقيض البَقاءِ، وتَفانَى القومُ قَتْلًا: أفنى بَعضُهم بعضًا، وفَنيَ يَفْنَى فناءً: هَرِمَ، وأشرف عَلى المَوتِ هَرَمًا[3]، والفَناءُ: نَفادُ الشَّيءِ[4]، والمعنى المحوريُّ: فقدُ النَّفعِ الأساسيِّ للشَّيء؛ لزيادة امتدادِه مكانًا أو زمانًا[5]، والفَناء هاهُنا: الاضمحلالُ والتَّلاشي، والانعدام، والزَّوال، والهلاكُ، والموتُ، أي: لِكلٍّ من على ظهر الأرض.

الفناءُ تغيُّرُ خصائصِ الشَّيءِ؛ تمهيدًا لدخولِه حيِّزَ العدمِ

وأمّا المَوتُ؛ فعَرَضٌ يُضادُّ الحَياةَ مُضادَّةَ القتلِ، ولا يكون إلّا من فِعلِ اللّهِ تعالى، والمَوْت يَنْفي الحَياةَ مَعَ سَلامَة البِنية، ولا بُدَّ في القَتْل من انتقاض البنية، ويستعارُ المَوْتُ في أشياءَ، فيُقالُ: ماتَ قلبُه؛ إذا صارَ بَليدًا، وماتَ المَتاعُ، أي: كَسَدَ، وماتَ الشَّيْءُ بَينهُم: نَقَصَ، وحظٌّ مَيِّتٌ: ضَعيفٌ، ونباتٌ مَيِّتٌ: ذابلٌ، ووَقع في الماشيةِ مَوَتانٌ؛ إذا تَماوَتَتْ، ومَوَتانُ الأرْضِ؛ إذا لَم تُعْمَرْ[6].

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 253.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 253.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (فنى).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (فني).
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (فنى).
(6) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 104.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"